شؤون فلسطينية

فَصليّة فِكريّة لمعَالجة أحدَاث القضيّة الفِلسطينية وشؤونها المُختَلفة
تصدُر عن مَركز الأبحاث في منظمة التحُرير الفلسطينيَّة

العدد 292 صيف 2023

رئيس مجلس الإدارة
د. محمد اشتية

المدير العام
د. منتصر جرار

أعضاء مجلس الإدارة
د. إبراهيم أبراش
د. أيمن يوسف
د. أحمد عزم
د. حسام زملط
د. سامي مسلّم
د. عدنان ملحم
أ. صقر أبو فخر

رئيس التحرير
د. أحمد عز م

مدير التحرير
د. إبراهيم ربايعة

هيئة التحرير
د. أيمن يوسف
د. سامي مسلّم
د. عدنان ملحم

مركز الأبحاث

مركز الأبحاث: مؤسسة من مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية، تأسس عام 1965 في لبنان. يهدف المركز منذ تأسيسه التركيز على تغطية الصراع العربي- الإسرائيلي من خلال إصدار الكتب وعقد الندوات والمؤتمرات وأرشفة الوثائق والمخطوطات التي تهدف إلى تحقيق هذا الغرض.

يعتمد المركز في بحوثه ونشاطه الفكري أسلوب العرض الموضوعي الموثّق للقضايا التي تتناولها دراساته وكتبه ونشراته الدورية. ويعتمد مناهج البحث العلمي المتبعة في العلوم السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

مركز الأبحاث- منظمة التحرير الفلسطينية

القدس- فلسطين

تلفاكس: 9702966228 +

e-mail: info@prc.ps

http://www.prc.ps

Research Center P.L.O

Al Quds - Palestine

Telfax: +9702966228

e-mail: info@prc.ps

http://www.prc.ps

شؤون فلسطينية

e-mail: editor@prc.ps

© حقوق الطباعة والنشر محفوظة

2023

المحتويات

الصفحة

الافتتاحيـــة 6

ملف العدد

بنيامـين نتنياهـو والصعـود إلـى الهاوية

يحيى قاعود 9

تولّـي سـموتريتش منصب "حاكم الضفة الغربية": مأسسـة الضم والأبارتهايد!

أنطوان شلحت 23

إيتمـار بـن غفيـر: وصـول اليمـين المتطرف إلـى الحكم في إسـرائيل

جوني منصور 39

بينـي غانتـس ويائيـر لبيد... الـدور والقوة في ظـل التحولات

عمار أبـو عبيد 61

انثولوجيا

جامعة اسـمها "وليد دقة"

يامن نوباني 79

المحتويات

تقارير

المشهد في إسرائيل انهيار الحوار بين الائتلاف والمعارضة: تصاعد الأزمة وتبادل الاتهامات
خلدون البرغوثي 97

تقرير الاستيطان
فيروز سلامة 111

الضفة الغربية في واجهة الأحداث
كريم قرط 122

جنين: المقاومة ومآلاتها
ابراهيم سميح ربايعة, فيروز سلامة 133

شهادات

فيصل حوراني.. من ذكريات النكبة إلى مركز الأبحاث
حاورته: نور بدر 144

مقابلة العدد

"شؤون فلسطينية" تحاور رئيس لجنة المتابعة العليا محمد بركة
وصال ابو عليا 160

صورة قلمية

سلافة جاد الله وتأسيس التصوير والسينما في الثورة الفلسطينية
لارا كنعان 166

مراجعات

الحركة الوطنية الفلسطينية في القرن العشرين
محمد كريّم 177

المحتويات

بريطانيا في فلسطين- قصة الحكم البريطاني لفلسطين 1917-1948
أسماء الغرباوي 182

مراجعات قصيرة

رنيم العزة 186

وثائق 194

مساعدة تحرير : مرح خلف
تصميم وإخراج : أمير الطويل

الآراء الواردة تعبّر عن وجهات نظر كاتبيها، ولا تعكس بالضرورة آراء المركز

صورة الغلاف: لوحة للفنان الفلسطيني محمد العزيز عاطف

الافتتاحية

في مواجهة صهيونية دينية شعبوية

يتّبع هذا العدد (292) لمجلة شؤون فلسطينية، منهجاً يقوم على تحليل الشخصيات، ويتراوح بين التدقيق في السير.. وقراءة السياسات، أو «الإنجازات»، والأعمال. كما أن هذا العدد من «شؤون فلسطينية»، زاخر بتسليط الضوء على عدد من المناضلين والمثقفين الفلسطينيين، وبشؤون المقاومة الشعبية.

يكتب يامن نوباني، في باب أنثولوجيا، نصاً يعتمد على ما كتبه الأسير وليد دقة، من كتب ونصوص، وما كُتِب عن دقة، الذي يعد أحد فلاسفة النضال في الحركة الأسيرة، ومن أبرز من كتب عن حياة الإنسان في المعتقل، وفي مقابلاته التي أعدت لصالح مقاله، يكشف يامن تفاصيل إنسانية بالغة الحميمية والشفافية عن حياة عائلة الأسير، خاصةً أن وليد وزوجته سناء أنجبا ابنتهما ميلاد عبر النطف المهرّبة.

أما لارا كنعان، في باب الصورة القلميّة، فتعتمد أيضاً السعي وراء المصادر الأساسية، وتجري مقابلات وتنقب في النصوص، لتقدم لنا تجربة رائدة في التصوير والسينما الفلسطينية الثورية، الراحلة، سلافة جاد الله، مع نبذة عن بدايات التصوير في نابلس، والمقاومة الفلسطينية.

وضمن باب «شهادات»، ننشر مقابلة مع الكاتب والمؤرخ الراحل فيصل حوراني، أجراها المركز قبل سنوات ضمن مشروع لتوثيق شهادات مع عملوا فيه وعاصروا مراحله، تطرق فيها لمسيرته وتجربته، بالتركيز على حضوره في مركز الأبحاث ببيروت وقبرص.

كما أجريت مقابلة العدد مع رئيس لجنة المتابعة العليا للجماهير العربية في الداخل محمد بركة، تمحورت حول استجابة المجتمع الفلسطيني في الداخل للأزمة السياسية الإسرائيلية، وانعكاساتها عليه، وآليات التعامل معها ومع تداعياتها.

يتمركز ملف العدد على قراءة خمسة وجوه بارزة وفق منطق «اعرف عدوك»، خمسة سياسيين صهاينة إسرائيليين: بنيامين نتنياهو، وبيني غانتس، ويائير لابيد، وبيتسليئيل سموتريتش، وإيتمار بن غفير.

ثلاثة من هؤلاء هم في ائتلاف نتنياهو الذي يكتب عنه يحيى قاعود، وسموتريتش ويكتب عنه وعن سياساته أنطوان شلحت، وبن غفير ويرسم «بروفايله» جوني منصور، هم سياسيون شعبويون، يقومون باللعب على جميع الأوتار والغرائز الشعبية، مستخدمين نشر الخوف، والكراهية، والاستقواء ضد الآخر، والعنف.. إلخ. أما نتنياهو، فيوصف بملك إسرائيل غير المتوج، ومهندس سياستها الخارجية المعاصرة، كونه أكثر شخص قضى سنوات في موقع رئيس الوزراء، ويقترب من سن الرابعة والسبعين، مدة ستة عشر عاماً حتى الآن، (1996- 1999)، و(2009- 2021)، و(2022- الآن)، يرأس حزباً صهيونياً قومياً، أقرب للعلمانية، لكنه امتهن وفضّل دائماً التحالف مع الأحزاب الدينية الصغيرة المتعددة، وساهم في صعودها، ليصعد فوقها، تماماً كاستخدامه الدين جزءاً من أدواته، وتسخيره لخدمة السياسة. هذه المرة يشاركه شخصان يقودان تيار الصهيونية الدينية، حيث هما أقرب للفكر اللاهوتي المتدين، خصوصاً سموتريتش، الذي يبدو أقرب للأصولية الدينية، ويعليها على أي مفهوم سياسي، أو مدني، أو دولاتي، ويسهل عليه أن يبرر أي أمر بأنّه «تعاليم الشريعة» اليهودية والتوراة، حتى لو كان القتل والإبادة. وربما يفوقه شعبوية وغوغائية، بن غفير، ويشتركان كلاهما في الاعتماد على تأييد المستوطنين المتدينين والمتشددين، في الضفة الغربية، على أن سموتريتش، يبدو أنه يجهز نفسه لمستقبل طويل المدى في السياسة، وتبدو قوى سياسية صهيونية وحتى من حزب الليكود، تستثمر فيه ليستمر، وتعتمد عليه وهو وزير المالية، ليمول نشاطاتها، مقابل تمويلها له.

يكتب عمار أبو عبيد، عن الجنرال غانتس، والإعلامي الصحافي لبيد، وكلاهما يقود المعارضة في إسرائيل، وربما لوهلة يقدّمان أنفسهما باعتبارهما «رجال دولة» يؤمنان بالقضاء والمؤسسات والواقعية السياسية، والمساواة بين المواطنين، وقد يكون هذا دقيقاً إلى حد ما في الشأن الداخلي الإسرائيلي اليهودي، ولكن عندما يصل الأمر للعرب والقضية الفلسطينية، والاستيطانية، فإنهما يتنافسان في شعبويتهما، مع سائر قادة إسرائيل.

الافتتاحية

يقدّم إبراهيم ربايعة وفيروز سلامة قراءة في معركة مخيم جنين، (تموز/ يوليو 2023)، ويكتشفان قواعد اشتباك جديدة، وعقلية جديدة في التفكير المقاوم قد يكون بعدها مختلفاً عمّا قبلها. ويستكمل كريم قرط رصد المشهد الفلسطيني المقاوم، معتمداً على قراءة في الإحصاء والبيانات والتحولات. أمّا خلدون البرغوثي، فيتابع ملف الشأن الإسرائيلي الداخلي، خصوصاً الاضطراب على خلفية «الإصلاحات القضائية». وتتابع فيروز سلامة ملف الاستيطان، عبر رصد التحولات الإحصائية، ولكن أيضاً تركيز هذه الحكومة الإسرائيلية على ما تُسمى «الشرعنة»، أي قبول أي بؤرة استيطانية وتحويلها لشيء مقبول بموجب القانون الإسرائيلي، وعلى التحولات في توزيع الصلاحيات الحكومية، بما يسهل قرار بناء المستوطنات ويختصر الخطوات المطلوبة لإصدار الموافقات على ذلك.

في باب مراجعات، تواصل رنيم العزة إعداد باب المراجعات القصيرة، وتقدم ثمانية كتب نشرت حديثاً في الشأن الفلسطيني، بالعربية والإنجليزية. ويقدم محمد شاهين مراجعة في كتاب كارل صبّاغ، بريطانيا في فلسطين- قصة الحكم البريطاني لفلسطين. أما محمد كريم، فيستعرض كتاب عبد القادر ياسين، حركة الوطنية الفلسطينية في القرن العشرين.

أنثولوجيا...

الأسير وليد دقة

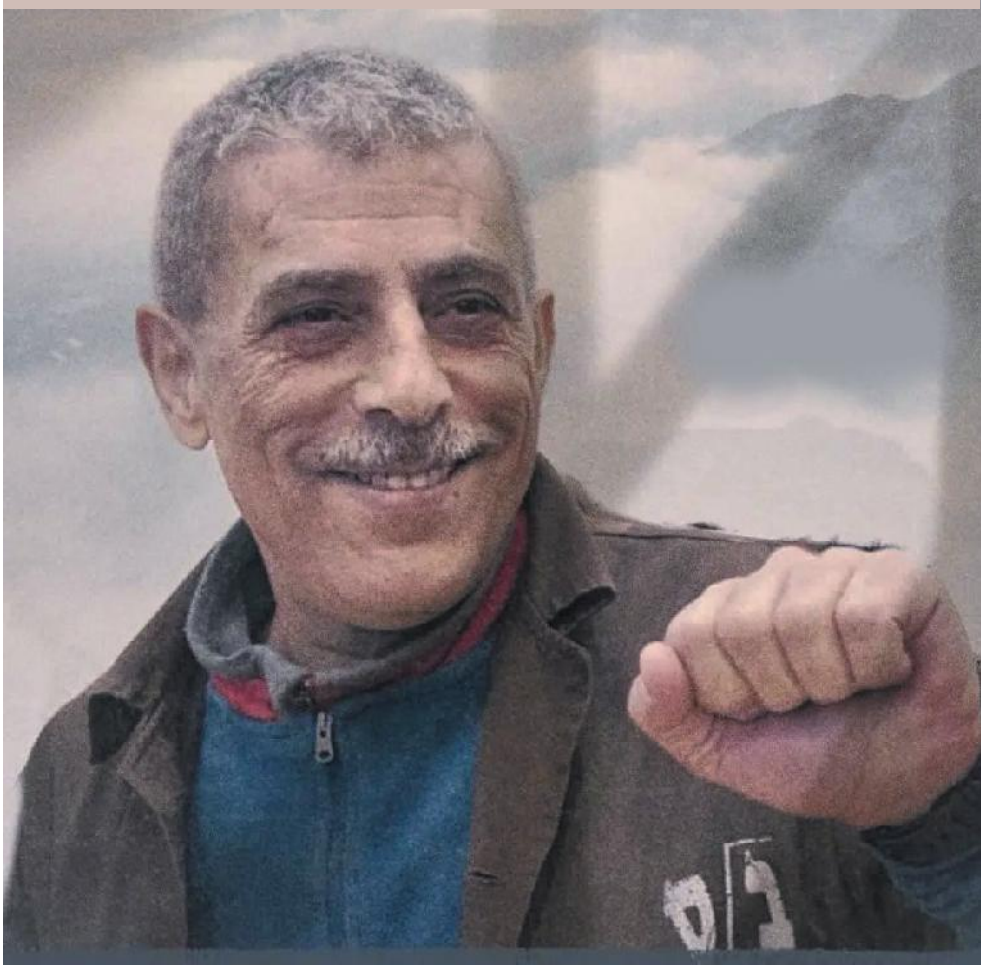

جامعة اسمها "وليد دقة"

يامن نوباني*

ولد وليد نمر دقة بتاريخ 1961/7/18.في بلدة باقة الغربية، في الأراضي المحتلة عام 1948. أنهى تعليمه المدرسي في البلدة، عمل بعدها في مطعم في مدينة تل أبيب وفي ورش البناء، لينتقل بعدها للعمل في محطة وقود في مدينة طولكرم شمالي الضفة الغربية، إلى حين اعتقاله منها، أثناء عمله بتاريخ 1986/3/25 وحكم بالسجن المؤبد الذي حدد عام 2102 بـ73 عاماً، أضيف إليها في العام 2018 عامين إضافيين بذريعة تورطه في إدخال هواتف للأسرى. في كانون الأول/ ديسمبر 2022، شُخّصت إصابة دقة بمرض التليف النقوي (orbfioleyM-sis)، وهو سرطان نادر يصيب نخاع العظم، الذي تطور عن سرطان الدم (اللوكيميا) الذي شُخّص به في عام 2015. يقبع دقة عند كتابة هذه السطور، أواسط العام 2023، في مستشفى «سجن الرملة»، ويتم نقله كل عدة أيام إلى أحد المستشفيات بحالة صحية معقّدة وحساسة جداً رئوياً، وقصور قلبي خطير جداً.

افتتح وليد دقة في 25 آذار/ مارس 1986 «جامعة» لا تشبهها أي جامعة في العالم، تتوزع أفرعها اليوم على 28 موقعاً شمال ووسط وجنوب فلسطين المحتلة، وهي 19 سجناً، وأربعة مراكز تحقيق، وثلاثة مراكز توقيف، ومحكمتان عسكريتان.

تغطي الجامعة كامل فلسطين التاريخية، 27,027 كم، بدون نقاط تفتيش، تعبرها كما لو أنك تملك البلاد كلها، لا أحد يستطيع إيقافك.. فأنت طالب في طريق «الحرية» المعبد بالوعي، فهم العدو، وفهم الثورة ومآلاتها، وإن تعرضت لحادث اعتقال الجسد -الذي قد يطول لعشرات الأعوام- فالعقل يُكمل.. غير آبه بزرد السلاسل.

بدون جرس، ولا مواقيت محددة، يقرع دقة ساحات وغرف وزنازين وإكسات،

*صحفي وباحث فلسطيني.

بقلمه، فينتظم الأسرى للتعلم.

الذين دخلوا السجون يتثقفون وينهلون عادةً، عِلما وفكرا من مكتبات السجون المتواضعة، أما وليد دقة، فكان يضيف لتلك المكتبات. فمكتبات السجون هي المكان الوحيد الذي بإمكان الأسير أن يأخذ منه كتاباً، أما في حالة وليد دقة، فكان يزود تلك المكتبات من كتبه الشخصية.

بالعودة إلى وليد، نشعر حين نتعمق في ثقافته، أنه حين اعتقل لم يكن مجرد شاب في الرابعة والعشرين من عمره، أو عاملا في محطة وقود، إنما أستاذ جامعي، «إنه يدشن أطروحات لافتة حول زمن الفلسطيني.. لم يُسبق إليها»[1].

يكتب دقة الكلمة، من برش «سرير السجون»، ليلاً، بسرية، على ضوء خافت قادم من أحد كشافات الحراسة، وإذا بها تخرج من تحت الأرض، مقاتلة، كما خرج أبطال نفق جلبوع، ليلاً، بسرية، على ضوء شمعة وولاعة، مقاتلين.

كان دوماً يختار سريره قرب ممر الغرف، ليتمكن من متابعة دراسته عبر الضوء المتسرب من الممر. فالسجّان كان يطفئ الأضواء في الغرف قبل انتصاف الليل، ويمنع بعد ذلك أي ضوء.

بعد 18 عاما من مصارعة ثيران الجدران وحديد القيود وحراثة العقل، نبت إنتاج وليد دقة، فكان: نشر كتاب «يوميات المقاومة في مخيم جنين 2002» في عام 2004، ويحوي شهادات مع عدد من قادة المعركة (الحاج علي الصفوري، جمال حويل، يحيى الزبيدي، عبد الجبار خباص).

لتتوالى بعده الإصدارات: صهر الوعي أو إعادة تعريف التعذيب (2010)، مسرحية حكاية المنسيين في الزمن الموازي، سجن جلبوع 2011، حكاية سر الزيت، التي كتبها في سجن جلبوع 2017، وصدرت (2018)؛ والتي افتتحها دقة بالجملة الأكثر اتزانا ورعبا لأسير يقاتل روتينا يوميا كي لا يُقضى عليه: «أكتب كي أحرر نفسي من السجن».

أما حكاية سرِّ السيف (2021) ففازت بجائزة الشارقة (اتّصالات لكتّاب الطفل) كأفضل كتابٍ لليافعين للعام 2018؛ حكاية سرِّ الطيف/ الشهداء يعودون إلى رام الله (2022). هذا بالإضافة إلى عشرات الترجمات والمقالات

بالعربية والعبرية التي ترجمت إلى عدة لغات، أبرزها: «الزمن الموازي» (2005)؛ «ميلاد: أكتب لطفل لم يولد بعد» (2011)؛ «حرر نفسك بنفسك» (2020)؛ «السيطرة بالزمن» (2021)، والعديد من المخطوطات، والرسومات، والأشعار، والأغاني، والنصوص السيرية والمسرحية.

قبل كتبه المطبوعة، كانت وما زالت، تُكتب، مئات المقالات والأبحاث، في كافة الآداب والفنون والنظريات والأفكار، الواقع الاجتماعي، الخيال، الوعي، التاريخ والسياسة والاقتصاد كما لو أنه يدير مركز أبحاث.

لم يكتفِ الاحتلال وأجهزته الأمنية بالتنكيل بوليد دقة بعد كل معركة بين الأسرى وإدارة سجون الاحتلال أو بعد كل إضراب عن الطعام، وبشكل متكرر منذ إضراب العام 1992، بل لاحق كتاباته في الصحف، يقول الأسير المحرر عمر البلاصي «الكُل يعرف وليد دّقة، كل رؤساء الوزراء منذ عهد رابين إلى اليوم، وزراء الأمن والشاباك والمخابرات والسياسيون والكتاب والصحفيون والأكاديميون في الجامعات العبرية، لا من علاقة شخصية به، إنما من خلال كتاباته ونشرها في هآرتس، من حجمها ومدى تأثيرها في الشارع الإسرائيلي، الكل كان يتابع كتاباته ويرد عليها عبر الصحف»[2].

بعد كل مقابلة صحفية كان يجريها هاتفيا في الخفاء، كان يزج به في العزل والزنازين الانفرادية. ليتوج هذا التنكيل بملاحقة عروض مسرحيته «الزمن الموازي» على مسرح «الميدان» في حيفا عامي 2015 و2016، إذ جمدت وزارتا المعارف والثقافة الإسرائيليتان لفترة وجيزة دعم المسرح، كما تعرضت المسرحية للتضييق، وسط تحريض سياسي وشعبي كبيرين، وصل حد التظاهر من قبل جماعات استيطانية ويمينية متطرفة أمام مسرح «الميدان» في محاولة لمنع عرض «الزمن الموازي».

هذا ما واجهته قبل ذلك فعاليات خاصة بإطلاق (سر الزيت)، حيث «منعت السُّلطات الصهيونية عقد الفعالية في ثلاثة منابر جماهيريَّةٍ تِباعاً، ما حدا بالمنظِّمين إلى عقد الفعالية في بيت والدة الأسير دقّة، وقد تكرّر الأمرُ نفسُه في حيفا».[3]

لحظة الاعتقال

آخر مشهد لوليد دقة، قبل 37 عاماً ونصف العام، كان استعداده لهضم اللقمة الأولى التي قضمها من رغيف الخبز المطلي باللبنة، الذي جهزته

لـه أمـه مـع رغيـف آخـر مغمـس بالزيـت والزعتـر، حتـى وجـد نفسـه ملقـىً علـى الأرض ومقيـداً.

ظـل المشـهد عالقـاً فـي عقـل وليـد، ليلخصـه فـي مقابلـة صحفيـة مـع بيـروت حمـود، مـن داخـل سـجنه، نشـرتها جريـدة الأخبـار اللبنانيـة فـي 11 نيسـان/ أبريـل عـام 2019: «فـي هـذه اللحظـة، فسّـر عقلـي المشـهد بالكامـل. والعقـل فـي لحظـة الصدمـة بالـذات مُخـادع، إذ لخّـص المشـهد بفقدانـي رغيـف اللبنـة الـذي بقـي مذاقـه يُذكرنـي بوالدتـي لا بالاعتقـال، الـذي إن كان فـي الزمـن العـادي لحظـة، فإنـه فـي زمـن السـجون لحظـة امتـدت حتـى الآن 34 عامـاً».

لـم يكـن القيـد الـذي وضـع فـي يـده مـع نـوار لـوز 1986 إلا ذلـك المقـص الـذي افتتـح بـه «جامعتـه الخاصـة».

علـى سـيرة اللـوز، يتسـاءل دقـة فـي نصـه: «لا لـوز فـي السـجن ليزهـر» الـذي كتبـه سـنة 2010:

فنحـن فـي السـجن لا نعـرف الفصـول الوسـطية ولا نراقـب تسـاقط أوراق الأشـجار فـي الخريـف.. ولا نشـم شـذا زهـر اللـوز فـي الربيـع.

زهر اللوز؟!

هل ما زال اللوز يزهر في الربيع؟

ففي السجن لا لوز ليزهر..

الارتباط بسناء سلامة

إلـى جانـب الإبـداع الأكاديمـي والأدبـي والوطنـي، امتلـك وليـد دقـة أول وأغـرب وأوحـد زواج فـي السـجون، فهـو لـم يلتـقِ بزوجتـه سـناء سـلامة، ابنـة مدينـة اللـد المحتلـة، إلا مـرة واحـدة لسـاعتين خـلال عقـد قرانهمـا فـي حفـل صغيـر داخـل أسـوار السـجن، التـي فرقتهـم حتـى اليـوم، 24 عامـاً.

جـاءت سـناء مـن عائلـة مسيسـة، فوالدهـا كان أسـيراً فـي السـبعينيات والثمانينيـات لفتـرات قصيـرة، تقـول: «يبـدو أن هـذه الحيـاة هـي التـي قادتنـي بشـكل مـا إلـى قضيـة الأسـرى. فـي التسـعينيات كنـت متطوّعـة فـي جمعيـة أنصـار السـجين»[4].

تعارف وليد وسناء خلال متابعتها لأخبار وقضايا الأسرى، حين زارته في السجن سنة 1996. ومنذ اللقاء الأول حدثت «الكيمياء» العاطفية والوطنية.

شكل الحب والارتباط رافعة روحية لوليد، واختراقاً آخر في أسوار السجن، مانحاً إياه وسناء تحدياً نادراً وربما ما حصل في العالم، في قضايا الزواج والانتظار، وهو ما سينجحان فيه، لحظة طلت «ميلاد» إلى الحياة.

أول طلب كان لوليد حين التقى سناء كتاب «الحرب والإستراتيجية» للكاتب الإسرائيلي العسكري «يوشفاط أركابي»، ثم توالت مئات الكتب التي زودته بها منذ الـ 1996 وحتى اليوم.

زفاف وليد وسناء في سجن عسقلان

في العاشر من آب/ أغسطس 1999، في سابقة ما حدثت قبل هذا التاريخ ولا بعده، فتحت بوابة سجن عسقلان الضخمة لتمر سيارة «المرسيدس» يقودها عبد كتانة، صديق وليد، وإلى جانبه العروس سناء[5].

حاولت إدارة السجن منع دخول المرسيدس، على أن تكون سيارة مدير السجن هي البديل، لكن وليد وسناء أصرا على دخولها، «وكان وليد قد أقام «بوفيه»، وأمر بإنزال الصور عن الجدران، ووضع باقات الورود والزينة بدلاً منها، وطلب أن يرتدي أفراد الأمن الإسرائيلي زيّاً مدنياً بقوله: «شو هالفرح يلي فيه شرطة»، فظهروا في الصور كأنهم من الحضور. وعلى وقع الموسيقى وأجواء التصوير، أُقيم الزفاف الأشهر والأوحد في تاريخ الحركة الأسيرة، تقول سناء: «دخلنا بالسيارة والأسرى على النوافذ يشاهدون، ويزفوننا بالطبل على الأدوات المتوفرة لديهم من الأواني والحلل، وأقيم الحفل لمدة ثلاث ساعات، من الحادية عشرة صباحًا حتى الثانية مساءً، بحضور الشيخ الذي عقد القران، ومجموعة من أهلي وأهله، وتسعة أسرى[6]».

«أمّا كيف يمنحوننا حق عقد القران في السجن، فربما أننا كنا محظوظيْن، لأن هذا حصل قبل الانتفاضة الثانية التي غيرت الخارطة السياسية تمامًا. وبعد ضغوطات منا ومن سياسيين ومحامين حصلنا على كل ما نريد بالنسبة لعقد القران»[7]

ميلاد "ميلاد" وليد دقة

" تعلمت أنه في الحياة مع وليد، لا ملل، لأنك في نضال دائم على أبسط الأمور."

سناء سلامة

في كافة زيارات سناء للسجن، وفي كل الفعاليات المطالبة بإطلاق سراح وليد، تظهر طفلة بعمر ثلاث سنوات، تصرخ: حُلّية حُلّية.. إنها ميلاد ابنة وليد وسناء تهتف: حرية حرية لوالدها.

اثنا عشر عاما وسناء ووليد يحاربان من أجل الحصول على «الخلوة الشرعية»، فيقابل طلبهما بالرفض من محاكم الاحتلال، على الرغم من أنه يسمح لهما قانونيا كونهما يحملان «الجنسية الإسرائيلية».

ولأن الحقوق تنتزع من عين العدو إن لم تأتِ بموافقته، جاءت «ميلاد»، كأحد قوانين الطبيعة والحياة، التي لا بد من أن تحدث. ففي 27 أيار/ مايو 2019 زُرعت في رحم سناء النطفة المحررة، ليكون بذلك تاريخ 3 شباط/ فبراير 2020 ميلاداً لـ «ميلاد» وليد دقة.

ولدت ميلاد في مستشفى عربي في مدينة عربية في مدينة البشارة، مدينة الناصرة، كما قرر سناء ووليد.

قبل موعد الولادة بأسبوع نقلت إدارة السجون «وليد» إلى عزل سجن مجدو، الأمر الذي اضطر سناء لإخبار تلفزيون فلسطين، لتغطية الحدث عبر شاشتها الفضائية، ليصل الخبر إلى وليد في عزله. وكما قال وليد: «كأن المعاناة وكل السجن بأعوامه الـ 35 مُسحت»[8].

«ميلاد وليد نمر دقة» ستغدو قبل أن تولد، أول جنين يمتلك ملفا لدى مخابرات الاحتلال. في آذار/ مارس 2005، يصرخ دقة في رسالته بمناسبة مرور ربع قرن على وجوده في السجن «أكتب لطفل لم يولد بعد» في نقاصة الاحتلال الذي سيجن جنونه بعد الرسالة بـ 15 عاماً، يوم ولادة «ميلاد»: أيهما الجنون.. دولة نووية تحارب طفلا لم يولد بعد فتحسبه خطرا أمنيا، ويغدو حاضرا في تقاريرها الاستخبارية ومرافعاتها القضائية.. أم أن أحلم بطفل؟ أيهما الجنون.. أن أكتب رسالة لحلم أم أن يصبح الحلم ملفا في المخابرات؟ أنت يا عزيزي تملك الآن ملفا أمنيا في أرشيف الشاباك الإسرائيلي... فما رأيك؟

يكتب دقة عن الرعب في قلب السجان: «أكتب لفكرة أو حلم بات يرهب السجان دون قصد أو علم، وقبل أن يتحقق»، وعن فكرة الأسير المضيئة للحياة وفكرة الاحتلال المظلمة: «هم ينبشون قبور الأجداد بحثاً عن أصالة موهومة.. ونحن نبحث عن مستقبل أفضل للأحفاد.. لا شك آت..».

تروي سناء أجواء أول زيارة لميلاد إلى السجن: «كل الأسرى أرادوا أن يكونوا في غرفة الزيارة كي يروا مشهد استقبال وليد لابنته. طلب منّي وليد وقتها أن تدخل ميلاد إلى غرفة الزيارة وهي تمشي على قدميها دون أن أحملها: «أريد أن أراها بالكامل، دعيها تدخل على رجليها وأنا سأكون في غرفة الزيارة بين اثنين من الأسرى، اسأليها «وين بابا» وأريدها أن تؤشر علي». أراد الشعور بأن ابنته تعرفه. دخلت ميلاد إلى غرفة الزيارة مشيًا، ولكن من لم يكن واقفًا على قدميه ومن كان يبكي كان وليد. كل الأسرى في غرفة الزيارة كان يبكون.

بالطبع أنا ممنوعة من الدخول إلى وراء الزجاج وهذا يعني بأن ميلاد ستدخل وحدها. جاء السجان ليأخذ ميلاد ويُدخِلها عند والدها. طلبتُ من السجان وقتها ألا يلمسها، «لا تحملها» قلت له، «هي ستمشي وحدها». في الحقيقة لم أكن أريد أن يحملها السجان قبل والدها. حين فتحوا الباب الحديدي كان الصوت مريعًا. صوت الباب مدوٍ يجفل له الكبار فما بالك بطفلة. خافت ميلاد ودخلت إلى والدها ولكنها بقيت هناك دقيقة واحدة فقط مع أنه كان من المسموح لها أن تبقى ربع ساعة. حين رأت -وهي في الداخل- أنني من وراء الزجاج خافت وبدأت تبكي. اكتفى والدها بأن يقبلها لدقيقة واحدة وأعادها. لخص وليد يومها الزيارة وقال لي «أنا اليوم حصل لي ما حصل مع الشباب الذين حفروا النفق وطلعوا على الضو وانمسكوا». كانت لحظة حرية، دقيقة حرية مع ميلاد[9].

المستشفى كمكان لقاء

بينما يلتقي العُشّاق والأَزواج والخطاب والمعارف على الشطآن وفي المقاهي والمطاعم والبيوت والرحلات البرية، لا يجد وليد وسناء مكاناً في العالم به يلتقيان إلا المستشفى. في خطوة خطرة، للحظات معدودات، خلسة وبخوف وعن بعد أمتار.

للمستشفيات مع سناء ووليد قصتان موجعتان، تحملان مع قهرهما،

كمـاً هائـلاً مـن النحـت فـي اختـراع المسـتحيل، وإحالتـه واقعـاً ممكـن الحـدوث، وإن كان الحـدث طفيفـاً، لكنـه الزمـن الـذي يبحثـان عنـه، الزمـن الحقيقـي الـذي يُخـرج وليـد مـن الزمـن المـوازي، إلـى الزمـان والمـكان الـذي يعيشـه العالـم.

يـروي الأسـير المؤبـد كميـل أبـو حنيـش، دون تبيـان تلـك السـنة التـي حدثـت فيهـا، لكنهـا علـى الأرجـح بعـد الحكايـة التـي سـنرويها لعبـد الرحيـم الشـيخ، فـي حـين لا تذكـر سـناء متـى حدثـت «فقـط أعـرف أننـي ذهبـت لأجلـه إلـى المستشـفى مرتـين، وأؤكـد أن القصتـين حدثتـا فعـلا»[10].

روايـة أبـو حنيـش: وليـد يهاتـف سـناء ليبلغهـا بفحوصـات سـيجريها فـي المستشـفى، سـناء تتوجـه إلـى ذلـك المستشـفى فـي اليـوم الموعـود، تراقـب سـيارة مصلحـة السـجون التـي سـتقل وليـد، تنتظـره فـي ممـر المستشـفى ليمـر مقيـداً علـى السـرير، مخترعـة حيلة أنهـا زائـرة أو عاملة في المستشـفى، فترتطـم بسـرير وليـد، لتعانقـه بعدهـا أمـام ارتبـاك الحـراس الذيـن يقومـون بعدهـا بثـوانٍ بإبعادهـا[11].

روايـة عبـد الرّحيـم الشـيخ: ذات مـرة، علمـت سـناء أن لـدى وليـد فحوصـات طبيـة فـي مستشـفى «أسـاف هاروفيـه»، الـذي يتوسـط المسـافة بـين اللـد والرملـة وعيـون قـارة، فكانـت تلـك اللحظـة الحاسـمة التـي أدرك فيهـا الزوجان أن مستشـفى العـدو سـيكون الفضـاء الـذي يمكنهمـا فيـه اللقـاء بـلا شـبك ولا زجـاج، وقـد كان ذلـك بتاريـخ 17 حزيـران 2015، الـذي صـادف أول أيـام عيـد الفطـر، رفقـة الأكاديميـة عنـات مطـر؛ حيـث ذهبـت سـناء إلـى المستشـفى وراقبـت سـيارات الشـرطة العسـكرية تحضـر زوجهـا إلـى المستشـفى، والتقطـت لـه الصـور، وكانـت علـى مقربـة منـه حـد العنـاق لأول مـرة منـذ 16 عامـاً قبـل أن يحـول الحـراس بينهمـا».[12]

39 عاما سيتمها دقة

جاء توقيت السجن لوليد دقة، حدا فاصلا بين زمنين..

زمـن «خطـف الطائـرات والجنـود» فـي نهايـات السـتينيات والسـبعينيات وحتـى منتصـف العـام 1985، أي قبـل اعتقـال دقـة بعـام واحـد، الـذي شـهد اطـلاق سـراح (1155) أسـيراً مقابـل ثلاثـة جنـود.

وزمـن غيـاب «عمليـات التبـادل» الـذي اسـتمر حتـى العـام 2011، التـي تحـرر

فيها 1027 أسيرا ضمن ما عرف بصفقة «شاليط».

بعد توقيع اتفاقية «أوسلو» في أيلول/ سبتمبر عام 1993، أفرج عن أكثر من 13 ألف أسير، وكان آخرهم قرار إطلاق سراح «104» من الأسرى القدامى -ما قبل أوسلو- في أربع دفعات، ثلاث دفعات شملت 78 أفرج عنهم منها نهاية 2013، بينما ألغى الاحتلال الدفعة الرابعة، وهم 26 أسيراً.

ثماني سنوات قبل توقيع اتفاقية أوسلو لم تشهد أي عملية تبادل، وبعد أوسلو وضع الاحتلال أسرى الداخل «خطاً أحمراً» باستثنائهم من أية مبادرة أو مبادلة.

دخل وخرج من السجون الإسرائيلية منذ لحظة اعتقال وليد دقة، أكثر من 800 ألف فلسطيني.. معلومة، قد ينتبه إليها بعد سنوات مقرر منهاج اللغة الوطنية في مدارسنا.

في أيلول/ سبتمبر 1998، نشرت جريدة «فصل المقال» مادة صحفية من (4 أجزاء) حول أسرى الداخل، لوليد أيوب، بعنوان: سجناء الداخل موقف وطني وقضية وطنية، من بين فقرات المادة، أن الحاجة فريدة والدة وليد تربي العجل تلو العجل لتذبحه احتفالا بتحرير وليد.

وفي مقال نشرته صحيفة «هآرتس» في حزيران/ يونيو 2015، بعنوان: «السجين وليد دقة.. حديث «الزمن الموازي»، بقلم: جدعون ليفي، اليكس ليبك: «في المرة السابقة التي التقينا فيها أسعد -شقيق وليد- في آذار/ مارس 2014، كان منشغلا حتى الرأس في الاستعدادات التخمينية للاحتفال بتحرير أخيه. فقد اشترى 200 بالون مضاء كي يطلقها إلى سماء باقة يوم يتحرر وليد. طريق الوصول إلى بيت العائلة شق من جديد، أطفال المدينة أعدّوا كتابة حجارية كبيرة: «حرية»، كتبوا عليها الحرية.

دقة يتعرف على المحتل وينخرط في صفوف الثورة

كان وليد منذ صغره ابن هذا التراب والجو العام المرتبط بقهر وحزن بأجواء النكبة وخط الهدنة الوهمي الذي شطر بلدته «باقة» إلى شرقية وغربية، وضياع الجزء الأكبر والأجمل من فلسطين، قبل أن تأتي النكسة

لتكمل على ما تبقى.

سيدرك وليد معنى النكبة والاحتلال أكثر، خلال ذهابه للبحث عن «أعشاش العصافر» في أرض جده علي دقة، في «أرض عطا» الواقعة على شاطئ البحر المتوسط جنوب غرب وادي الحوارث، التي أصبحت للمستوطن «شلومو فرانك» تحت قانون «الحاضرون الغائبون»، الذين طردوا من بيوتهم وبلداتهم لكنهم بقوا في فلسطين المحتلة 1948.

سيكتمل نضج دقة السياسي ووعيه النضالي واتجاهه للعمل العسكري السري، عقب مجازر حي صبرا ومخيم شاتيلا جنوب بيروت 16-18 أيلول/ سبتمبر 1982، التي راح ضحيتها أكثر من 4 آلاف شهيد.

هكذا إذاً انخرط وليد دقة في الثورة، من إحساسه بوحشية المستعمر وأنياب أعوانه، التي غرزت مرارا وتكرارا في الجسد الفلسطيني مجازر، أو صمتاً، أو ترحيلاً أو تقييداً.

«أنا لستُ مناضلاً أو سياسياً مع سبق الإصرار والترصد، بل أنا ببساطة كنت من الممكن أن أكمل حياتي كدهان أو عامل محطة وقود كما فعلت حتى لحظة اعتقالي.. وكان من الممكن أن أتزوج زواجاً مبكراً من إحدى قريباتي كما يفعل الكثيرون، وأن تنجب لي سبعة أو عشرة أطفال، وأن أشتري سيارة شحن وأن أفهم بتجارة السيارات وأسعار العملات الصعبة.. كل هذا كان ممكناً، إلى أن شاهدت ما شاهدت من فظائع حرب لبنان وما أعقبها من مذابح- صبرا وشاتيلا.. خلقت في نفسي ذهولاً وصدمة..»[13].

انضم دقة إلى خلية فدائية قوامها سبعة عناصر، هم داهش عكري، وناصيف نصار من عرابة البطوف، وتوفيق عبد الفتاح من كوكب أبو الهيجا، قضوا بضع سنوات في الأسر وتم تحريرهم؛ فيما أمضى رشدي أبو مخ 35 عاما من باقة (تحرر في نيسان/ أبريل 2021)، وابراهيم أبو مخ من باقة، مؤبد حدد بـ 40 عاما، وإبراهيم بيادسة من باقة، مؤبد حدد بـ45 عاما.

«في عام 1984 تم فرز ثلاثة من أعضاء المجموعة، كان دقة أحدهم للقيام بتدريبات عسكرية ليقوموا لاحقا، بتشكيل جهاز عسكري يعمل داخل فلسطين المحتلة في عام 1948. وقد ترأس ذلك الجهاز الشهيد إبراهيم الراعي من سكان مدينة قلقيلية، الذي اعتقل وصُفّي في زنازين سجن

الرملة في عام 1988، وادعى الصهاينة أنه انتحر.

سافر دقة إلى سوريا بجواز سفر مزور وكان أهله يعلمون أنه مسافر إلى جنوب أفريقيا، وبعد عدة محطات للتمويه، كقبرص واليونان، وصل سوريا وتلقى التدريبات اللازمة مدة شهر في أحد المعسكرات التابعة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، في سوريا قريباً من الحدود الأردنية، حيث التقى مسؤول فرع الأرض المحتلة في حينه، الذي أوجز له ولرفاقه مهام الجهاز العسكري، وهي: جمع المعلومات حول قادة ومسؤولين إسرائيليين لهم علاقة بأحداث لبنان عموماً ومجزرة صبرا وشاتيلا خصوصاً والقيام بعمليات عسكرية لتصفية هؤلاء المسؤولين؛ واختطاف عسكريين؛ بهدف مبادلتهم بأسرى فلسطينيين وعرب معتقلين في السجون الإسرائيلية. بعد قرابة شهر، عاد دقة إلى فلسطين وواصل عمله المعتاد، وانخرط في العمل الوطني بسرية تامة.

وقد عمل دقة في هذا الجهاز مدة عامين قبل اعتقاله، ووجهت إليه تهمة الانتماء إلى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، والقيام بعمليات فدائية داخل فلسطين المحتلة في عام 1948، وأهمها خطف الجندي موشي تمام في عام 1984، لغرض مبادلته بأسرى فلسطينيين وعرب في سجون الاحتلال. وقد رفضت المحكمة العسكرية الصهيونية في اللد المحتلة في آذار/ مارس 1987 حقيقة أن دقة كان عضواً في المجموعة الفدائية، لكنه لم يشارك في عملية القتل للجندي تمام، وحكمت عليه بالسجن المؤبد، الذي حدد في عام 2012 بـ 37 عاماً. وفي 28 أيار/ مايو 2018، أصدرت المحكمة العسكرية في اللد عامين إضافيين على محكومية دقة بادعاء ضلوعه في إدخال هواتف نقالة للأسرى[14].

المعركة بين دقة و"تشاشا" على أرض عسقلان

عُرف وليد دقة باستثنائيته داخل السجون، أكثر العارفين عقلية السجان، وأكثر من تعرض لقمع وتنكيل «أكثر من تعرض للقمع والنقل في تاريخ السجون»[15].

في واحدة من قصص البطولة التي رويت عن دقة، وقوفه أمام مدير سجن عسقلان (تشاشا) بدايات عام 1992، مُتحدّياً إيّاه إدخال أي أسير فائض عن عدد الأسرّة إلى المعتقل. يروي المحرر اللبناني نبيل عواضة

تلك المواجهة: «قوة كبيرة من حرس الحدود انتشرت خلال دقائق معدودة على السطوح وفي باحات السجن وأقسامه، وحاولت إدخال أسير جديد إلى غرفة 22 في قسم 8، من أمام باب الغرفة وقف تشاشا أمام وليد مهدداً متوعداً، قبل أن يأمر جنوده بإطلاق الغاز المسيل للدموع والقنابل المخصصة لسحب الأوكسجين. غاب نزلاء الزنزانة عن الوعي، فاشتعلت مواجهة امتدت إلى أقسام السجن كافة، ربطت نهار عسقلان بليله. أوقفت «المعركة» شكوى المستوطنين في مدينة عسقلان، من أن الرياح تحمل إلى منازلهم رائحة الغاز، لينتهي المشهد بفشل تشاشا، ونجاح وليد ومن خلفه الأسرى. «لكل أسير الحق في سرير» عاد وكرر وليد جملته بعدما استفاق من الغيبوبة.

"حط تشاشا وليد والأسرى في رأسه". اتخذ سلسلة من الإجراءات القمعية وسحب الإنجازات من الأسرى. «زيت الزيتون يجعلكم أقوياء» قالها تشاشا لوليد، وضحك يومها من اشتهر بأكثر قادة الأسرى معرفة بعقلية السجان. الإجراءات شملت منع الأسرى من إدخال كميات الزيت القليلة المتاحة من الأهالي، وتقليص مدة زيارتهم لأبنائهم، وعدم السماح بالزيارات ما بين الغرف والأقسام، وتقليص وقت الخروج إلى باحة الشمس، والتفتيش العاري والمذلّ للأسرى أثناء تنقلهم بين السجون. بالطبع، لم تكن السياسة وليدة حدث تلك الليلة الشتوية الباردة أوائل عام 1992. سيتعيّن على وليد، الذي يتقن اللغة العبرية جيداً، أن يدير المواجهة التي توّجت بإضراب مفتوح عن الطعام استمر لأكثر من أسبوعين، اشترك فيه قرابة 16 ألف أسير كانوا موزعين على السجون والمعتقلات كافة في حينه[16].

وليد دقة.. قيمة ثقافية ووطنية واجتماعية في الأسر

آلاف الأسرى مروا بوليد دقة، الذي يمثل حقبة مهمة في تاريخ الحركة الأسيرة، تفاعلها، بطولاتها، انتكاساتها، حراكها وتغيراتها اجتماعيا وثقافيا وحياتيا. يقول الأسير المحرر البلاصي:

«التقيت بوليد دقة بدايات عام 2003، في سجن عسقلان، وليد كتب عن شعب، لكنه لم يجد من يكتب عنه، منذ التقيته قبل عشرين عاما، وإلى اليوم بعد تحرري منذ أكثر من 17 عاما، ما زال تأثيره بداخلي، وليد «حالة» و«استثناء».

وليد كان كاتبا وباحثا وإحصائيا. كانت تصله صحف دولية، ويتبادل الرسائل مع برلمانيين من الاتحاد الأوروبي، إلى جانب تلقيه رسائل شكر من أكاديميين من أمريكا وكندا وأستراليا، لتشخيصه الحالة الفلسطينية. كم كبير من الرسائل يحتفظ بها في «كرتونته»، ومعها مقالاته وحواراته ورسائله الشخصية.

ميزة وليد أنه يفهم ويعرف العدو، درسه جيدا وفي كتاباته يحاول تدريسه ونقله إلينا.

كان يعيش مع الكل الفلسطيني داخل السجن، بلا فصائليات وفئويات، مع المتعلم والأمي، ويحتمل الجميع، أذكر أنه كان يعلم شابا أميا من طولكرم، وحين كان يعجز من خلال القراءة والكتابة، يأتي له بحكاية شعبية، ليعلمه ما يقصده.

لم يكن بخيلا بعلمه وثقافته، كان مصدراً للكتاب في أي قسم يتواجد به، لا يحجب عن أي أسير أي معلومة تقع بين يديه، لشدة اطلاعه على الأحداث ومواكبته للعالم تشعر أنه حبس قبل خمس دقائق فقط.

لم يكن وليد يلخص ما يقرأ أو يقتبس، كان يستنتج، يكتب تحليلاته وأفكاره ونظرته الخاصة للأمور، وكنا كلما نشر مادة في صحيفة أو أخرج رسالة، نعرف أنه سيقمع.

أذكر إحدى مقالاته التي كتبها في سجن عسقلان، ونشرت عام 2003 واستحوذت صفحة كاملة في صحيفة «هآرتس» وأحدثت ضجة إعلامية كبيرة في أوساط الاحتلال، وكانت بعنوان: «من هو المقاتل الفلسطيني الاستشهادي». التي استمر عامين في كتابتها، وكانت تنقصه البداية الأفضل لهكذا موضوع حساس جدا.

التقى وقابل العشرات من المسؤولين عن تنفيذ العمليات ومن فشلت مهماتهم في تنفيذ عمليات استشهادية، كان يبحث عن قصة يخاطب فيها العالم ليقول له من هو الاستشهادي.. فالتقى بشاب من إحدى بلدات جنين كان ينوي تنفيذ عملية استشهادية عام 2002، وقصته أن الدبابات اقتحمت بلدته ومنعت التجول عليها، بينما هو أسير البيت، كان يجلس على شرفته يراقب منع التجول والاقتحام، وإذ بمجموعة كلاب تتجول في الشوارع وقرب الجنود بكامل حريتها، بينما هو الإنسان تكبل

حريته ويمنع من مغادرة منزله والتحرك، هنا شعر بكمية اللاقيمة التي يتعامل بها العدو الصهيوني مع الإنسان الفلسطيني، فقرر تنفيذ عملية استشهادية بحثا عن حريته وحرية أبناء شعبه.»[17]

أما عواضة، فيقول:

«وليد دقة هو من جيل القادة الذين نقلوا تجربة الرعيل الأول من الأسرى إلى الجيل الثاني، مع امتياز خاص يسجّل له. تجربة الحركة الوطنية الأسيرة في فلسطين تنقسم إلى مرحلتين أساسيتين، ما قبل عام 1985 وما بعده. في الأولى كان التأسيس الصلب، وفي الثانية كان الاستمرار الذي أخذ مظاهر مختلفة، مع تنوع وتعدّد حالات الأسرى. وليد في هذا المكان هو كل التجربة، كل تجربة الحركة الأسيرة، اختصرها بشخصيته الإنسانية، بسنوات اعتقاله، بإرادته الصلبة التي عنوانها فلسطين، بحبه للحياة وللعلم والثقافة.»

كان دقة موسوعة جغرافية وإنسانية واجتماعية متحركة بين الأزمان والأمكنة، في حيز لا يمنحه إلا الضيق والتوتر ونسيان الذاكرة، «جمع بين ابن المخيم وابن القرية وابن المدينة وابن الشتات، استطاع بأسلوبه الاجتماعي المتمايز أن يوحد في علاقاته مناطق غزة والضفة والقدس و48، فتمكن من إخراج «نظام الحياة المتشدد المعمول به من قبل الأسرى» من جموده إلى حيّز أكثر ليونة. فكان يحدّث صدقي المقت ابن مجدل شمس المحتلة عن جولانه، كما يحدث صلاح شحادة عن حي الشجاعية في غزة.» [18]

"صهر الوعي أو إعادة تعريف التعذيب"

في كتابه «صهر الوعي أو إعادة تعريف التعذيب»، يفكك وليد دقة عقلية السجان، التي راكمت عبر عشرات السنوات أدوات تعذيب جسدية ومعنوية، هدفها «تحويل الأسير الفلسطيني من ذات فاعلة لها شخصيتها وقناعاتها، إلى موضوع سلبي ومتلقٍّ يعتمد بالأساس على حاجات مادية يتلقاها وفقا لإرادة السجان، فتتحول بالتدريج إلى جوهر حياته واهتمامه اليومي، خصوصا عندما يفتقد أي انشغال أو اهتمام آخر في واقع مغلق كالسجن... المهم ألا يتحول الأسير إلى ذات يدرك واقعه ونفسه ويفكر في مصيره أو مصير رفاقه».

تعرفه سناء سلامة على أنه أهم دراسة على الإطلاق. وضعت عن الحركة الأسيرة دراسة سياسية تحليلية بامتياز تربط بخط مشترك بين ما يحدث في السجون وما يحدث خارج السجون من ناحية إستراتيجية الاحتلال في هندسة البشر، وكي يهادن ليصبح فلسطينياً لطيفاً متنازلاً عن حقوقه وكرامته وحريته واستقلاله.

في الكتاب، يتحدث دقة باستفاضة عن إضراب عام 2004، الذي استعدت حكومة شارون له ودفعت نحوه، باستفزاز الأسرى بعدة إجراءات وتدابير قمعية وتغييرات مست حياة الأسرى وما عايشوه قبل ذلك، وهي بالتأكيد هنا لا تعني أنهم كانوا في «بحبوحة من العيش»، إنما كانت الأمور السيئة تسير بشكل أفضل قليلاً، وفرضت عليهم المزيد من العزلة والسياسات التي سلختهم أكثر عن الواقع في الخارج وضرب أطرهم التمثيلية وإضعافها، وتفكيك العمل الجماعي الذي تحدده قيم وطنية مشتركة.

يرى دقة أن حكومة شارون اتخذت عدة إجراءات لعملية صهر وعي الأسرى التي بدأت في عام 2004 بعد تسلم «يعقوب جنوت» في أواسط عام 2003، رأس الهرم القيادي لإدارة السجون، والذي عينه رئيس وزراء الاحتلال آنذاك، أريئيل شارون، الذي ربطته به علاقة شخصية وعسكرية قديمة. شارون منح «جنوت» مطلق التصرف في تحديد سياسته وتطبيقها، إضافة إلى زيادة الميزانية التي أتاحت له تجهيز السجون القديمة بتقنيات ونظم حديثة، لإحكام السيطرة على تفاصيل الأسرى، وبناء سجون جديدة تستوعب الآلاف.

ويتابع دقة أنه في تفاصيل مواجهة إضراب الأسرى، جرت مصادرة الملح، ما خلق حالة من التوتر والقلق بإخراج الأسرى من غرفهم بحجة التفتيش عن «ممنوعات» رغم تفريغ كل الغرف من حاجياتها إلا فرشة الأسير، وإجراء تنقلات بين الأقسام والغرف لتفكيك دوائر المعارف التي تشكلت عبر سنوات من الاعتقال، وإسماع الأسرى نداءات عبر مكبرات الصوت، وتوزيع نشرات تهدف إلى إضعاف قناعة الأسير بخطوة الإضراب وبقيادته، وإقامة حفلات المشاوي للشرطة والسجناء المدنيين في باحة السجن، واستخدام العنف وجهاز الصدمة في حالة نقل الأسرى إلى السجون أو المستشفيات وهو جهاز يستخدم أصلا لحث البقر على السير،

ومنع المحامين من زيارة الأسرى والتواصل معهم، ومنع تسرب أي خبر عن حملات التضامن والاعتصامات التي تشكل دعما معنويا.

وليد دقة يغادر السجن..

في عام 2004 سُئِلت سناء سلامة: هل عندك أمل بتحرر وليد من الأسر؟

ردت: وين بده يروح يعني!

يلخص دقة تجربة السجن على أنه «أسوأ اختراع صنعه الإنسان. ولكن الأسر هو الأخطر من السجن كمكان، أي السجن كعقلية أو ثقافة، فهذا الذي بين أكتافنا يمكن بسهولة أن يتحول إلى زنزانة يُسجن صاحبها، رغم أن جسده حر طليق».

تبدو الحياة التي يريدها دقة، بعد تحرره بسيطة، حياة ريفي قريبة من العزلة، حياة خاصة جدا، كما يروي في مقابلته مع بيروت حمود في جريدة الأخبار بتاريخ 11 نيسان/ أبريل 2019: «أنا توّاق إلى المستقبل، البيت الذي سأعمّره، فهناك سأعيد ترتيب الذاكرة في المكان الذي سأحدده، وربما كما أذكر لرفاقي في الأسر أحياناً سأعدّ في هذا البيت الذي سأعمّره بعيداً عن ضجيج المدينة وصخبها دلّة القهوة، ومن حولي ستدور في الباحة أربع دجاجات بلديات، وعنزتان شاميتان، وكلب أخرس كي لا يجرح السكينة بنباحه.

أنا منذ ثلاثة عقود على مدار 24 ساعة أعيش مع زملاء لي في زنزانة ضيقة، نأكل ونشرب وننام ونستحمّ فيها، وهذا خانق بصورة جنونية. حتى الباحة الشمسية مراقبة بالكاميرات، وعلينا أن نعيش حياتنا ونحن على الهواء مباشرة.

أول شيء أرغب في فعله هو الذهاب إلى البحر. أنا مشتاق للبحر، وأريد أن أجلس قبالته وحدي في شاطئ ناءٍ بعيداً عن الناس، وأعترف له بكل شيء. سأزيح عن كاهلي كل الأقفال والقيود التي تراكمت على جسدي. سأحكي له عما حلّ بي على مدى هذه العقود الطويلة. سأصرخ وأبكي وألهو برمله مثل طفل، فالبحر هو الوحيد الذي يمكن أن أضعف أمامه وأن أنزع ملابسي دون خجل منه. أمام البحر سأخلع عني وجع السنين لعلني أستعيد... توازني".

الهوامش:

1 عبد الرحيم الشيخ، "الزمن الموازي في فكر وليد دقة"، **المجلة العربية للعلوم الإنسانية**/جامعة الكويت - مجلس النشر العلمي، مجلد 39، عدد 155، ص274.

2 مقابلة هاتفية، المحرر عمر البلاصي، مخيم الدهيشة، 25 أيار (مايو) 2023.

3 عبد الرحيم الشيخ، «معاني فلسطين في «حكاية سرِّ الزَّيت»، **موقع باب الواد**، 18 تموز (يوليو) 2018. https://pw.2u/VzhiDOZ

4 سناء سلامة، "وليد دقة: أن تكون نِدًّا"، **موقع حبر**، 16 أيار (مايو) 2023. https://2u.pw/R4dTfyz

5 مقابلة هاتفية، سناء سلامة، 3 حزيران (يونيو) 2023.

6 نجلاء السكافي، «ميلاد وليد دقة.. ضربات متتالية في خاصرة المحتل"، **موقع بنفسج**. https://pw.2u/gqwMQxx

7 سلامة، وليد دقة.

8 السكافي، ميلاد وليد دقة.

9 سلامة، وليد دقة.

10 كميل أبو حنيش، «الحب بين جدران الأسر الحب في الزمن الموازي»، **موقع مركز حنظلة للأسرى والمحررين**، 9 تشرين الثاني (نوفمبر) 2017. https://pw.2u/ShtWy8N

11 المصدر نفسه.

12 الشيخ، الزمن الموازي.

13 من رسالة: في اليوم الأول من العام العشرين في الأسر، 25آذار (مارس) 2006.

14 الشيخ، الزمن الموازي.

15 عمر البلاصي، مقابلة هاتفية.

16 نبيه عواضة، "الرجل الذي لا يهزم"، **جريدة الأخبار اللبنانية**، 10 كانون الأول (ديسمبر) 2022. https://pw.2u/8rd4D1m

17 عمر البلاصي، مقابلة هاتفية.

18 عواضة، الرجل الذي لا يهزم.